

✦ من أجل الحفاظ على الإيمان الرسولى

بخصوص كتاب "الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور"

تأليف الأب أنتونى م. كونيارس ترجمة الراهب يوييل المقارى

تنفيذاً لقرار المجمع المقدس فى جلسته بتاريخ ٢٧ مايو ٢٠٠٧ بالإعلان عما صدر من أخطاء فى كتاب "الأرثوذكسية قانون إيمان لكل العصور" تأليف الأب أنتونى م. كونيارس ترجمة الراهب يوييل المقارى إلى العربية، نورد هنا أمثلة للأخطاء التى تمت مناقشتها بواسطة لجنة الإيمان والتعليم والتشريع:

* "أن الكلمة الذى صار جسداً فى يسوع، هو نفسه يجب أن يصير جسداً فينا، يجب أن يتكرر الاتحاد بين ما هو بشرى وما هو إلهى فى حياة كل مؤمن، بطريقة سرية... أنا وأنت كأولاد وبنات الله ننال قوة، لنصير امتداداً للتجسد... لتكون فى هذا العالم مسيحاً على الأرض، امتداداً لتجسده... الكلمة الذى صار متجسداً فى بولس بطريقة سرية، يستطيع أن يتجسد أيضاً فينا بنفس الطريقة" (صفحة ١٥١).

* "وبحسب اللاهوت الأرثوذكسى، فإن هدف الحياة المسيحية ليس فقط اقتناء الروح القدس، بل أيضاً تأله الإنسان من خلال الروح القدس... لذلك فإن خلاص الإنسان وفداءه يعنى فى الأرثوذكسية تأله، ميلاده فى حياة إلهية ه" (صفحة ٢٦٠).

* "إن الخلاص فى الكنيسة الأرثوذكسية لا يعنى فقط التبرير أو غفران الخطايا بقدر ما يعنى إعادة وتجديد وشفاء صورة الله فى الإنسان، ورفع البشرية الساقطة إلى حياة الله الذاتية بالمسيح" (صفحة ١٥٩).

* يقتبس الكتاب من د. كارل يونج ما يلى: "لا غنى عن الإنسان لاستكمال الخلق، إنه الخالق التابع لله". ثم يعقب: صار على الإنسان بنعمة الله وكخالق مشارك وتابع لله أن يحاول إصلاح ما قد تلف" (صفحة ٩٠).

* "هذا يفسر التأكيد فى اللاهوت الأرثوذكسى على تأليه الإنسان الذى يعنى أن الإنسان يقدر من خلال يسوع المسيح والروح القدس أن يرتفع من حياة البشرية الساقطة إلى حياة الله ذاتها" (صفحة ١٠٣).

لذلك توصى اللجنة بمنع توزيع هذا الكتاب، وبقية كتب المؤلف التى سبق أن صدر منها. ثلاثة كتب مترجمة إلى اللغة العربية لنفس المترجم.

وبعد العرض وافق المجمع المقدس فى هذه الجلسة على توصية اللجنة ونصها:

الإعلان عما صدر فى هذا الكتاب من انحرافات خطيرة (بدعة تأليه الإنسان) وقد صدرت الطبعة الأولى منه فى مصر باللغة العربية سنة ٢٠٠٥ والطبعة الثانية ٢٠٠٦ ويبدو أن الناشر لم ينتبه إلى ما فيه من أخطاء.

وللرد على الخطأ الأساسى فقط من هذه الأخطاء نورد الأقوال التالية للقديس أثناسيوس الرسولى والقديس كيرلس الكبير:

يقول القديس كيرلس فى شرح إنجيل يوحنا:

"نحن أبناء الله بل دعينا آلهة فى الأسفار الإلهية حسب المكتوب "ألم أقل أنكم آلهة وبنو العلى كلكم" (مز ٨٢: ٦). هل يعنى هذا أن نتخلى عن كياننا ونرتفع إلى جو اللاهوت غير المنطوق به وأن نخلع الابن الكلمة من بنوته ونجلس نحن فى مكانه مع الآب ونجعل محبة الذى أكرمنا عذراً للكفر؟ حاشا لله. فالابن هو كائن غير متغير، أما نحن فبالتبني صرنا أبناء وآلهة بالنعمة.^١

ويقول فى شرح إنجيل يوحنا أيضاً:

"إذن نحن نرتفع إلى كرامة أسمى من طبيعتنا بسبب (بفضل) المسيح لأننا سنكون أيضاً "أبناء الله" ليس مثله تماماً، بل بالنعمة وبالتشبه به. فهو الابن الحقيقى، الكائن مع الآب منذ الأزل، أما نحن فبالتبني بسبب تعطفه، ومن خلال النعمة التى أخذناها "أنا قلت أنكم آلهة، وكلكم أبناء العلى" (مز ٨٢: ٦) فالطبيعة المخلوقة الخاضعة للخالق، دعيت إلى ما هو فوق الطبيعة بإرادة الآب فقط، أما الابن، والإله والرب، فهو ليس الابن والإله بإرادة الآب واختياره، وإنما بالولادة من جوهر الآب ذاته يصبح بالطبيعة له كل صفات الله وصلاحه. وأيضاً يمكننا أن نرى بكل وضوح أنه الابن الحقيقى بالمقارنة مع أنفسنا فهو بالطبيعة له كيان خاص، غير كياننا الذى بالتبني وبالتشبه. إذن هو الابن بالحق وبالطبيعة، ونحن صرنا به أبناء أيضاً، وننال الخيرات بالنعمة دون أن تكون هذه الخيرات هى من طبيعتنا.^٢

^١ شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس، ترجمة د. جورج حبيب بباوى مراجعة د. نصحى عبد الشهيد، يناير ١٩٨٩ صفحة ١٠٣.
^٢ نفس المرجع صفحة ١٢٥.

يقول القديس أثناسيوس فى المقالة الأولى ضد الأريوسيين:

"إن كان كل ما دعوا أبناء وآلهة إما فى السماء أو على الأرض، تم لهم التبنى والتأله من خلال الكلمة، والابن نفسه هو الكلمة، فمن الواضح أنه من خلاله هم جميعهم، وهو نفسه قبل الكل، أو بالأحرى هو نفسه وحده الابن الحقيقى، وهو الوحيد إله حق من الإله الحق، ولم ينل هذه كمكافأة على بره ولا لكونه آخر معها، ولكن بسبب أنه كل هذه بالطبيعة ووفقاً للجوهر."^٣

ويقول القديس أثناسيوس فى المقالة الثالثة ضد الأريوسيين:

"فرغم أنه يوجد ابن واحد حسب الطبيعة وهو الابن الحقيقى الوحيد الجنس، هكذا نصير نحن أيضاً أبناء، لكن ليس مثله هو بالطبيعة وبالحق، بل بحسب نعمة ذلك الذى دعانا، ورغم أننا بشر من الأرض، ومع ذلك نصير آلهة ليس مثل الإله الحقيقى أو كلمته، بل كما قد سر الله الذى قد وهبنا هذه النعمة؛ هكذا أيضاً نصير رحماء مثل الله، لا بأن نصير مساويين لله ولا بأن نصير صانعى خيرات بالطبيعة وبالحيقة."^٤

يقول القديس كيرلس فى كتاب شرح تجسد الابن الوحيد الفصل ١٢

"ولذلك فإنه غير ممكن لأى من الناس أن يرتقى إلى مجد الألوهة".^٥

ويقول القديس كيرلس فى رسالته الثالثة إلى نسطور (الفقرة ٩)

"وإذ نعترف بكل تأكيد أن الكلمة اتحد بالجسد أقتومياً، فإننا نسجد لإبن واحد الرب يسوع المسيح...
ولسنا نقول أن كلمة الله حل فى ذلك المولود من العذراء القديسة، كما فى إنسان عادى، لكى لا يفهم أن المسيح هو "إنسان يحمل الله". لأنه حتى إن كان "الكلمة حل بيننا" فإنه أيضاً قد قيل إن فى المسيح "يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كو ٢: ٩). لذلك إذن نحن ندرك أنه إذ صار جسداً فلا يقال عن حلوله إنه مثل الحلول فى القديسين، ولا نحدد الحلول فيه أنه يتساوى وبنفس الطريقة كالحلول فى

³ NPNF, Vol.4, Discourses Against the Arians, Discourse I, p. 329.

^٤ "المقالة الثالثة ضد الأريوسيين" للقديس أثناسيوس الرسولى، ترجمة مركز دراسات الأباء، ترجمة الأستاذ صموئيل كامل عبد السيد والدكتور نصحى عبد الشهيد صفحة ٤٢.

⁵ Scholia on the Incarnation of the Only-Begotten by St. Cyril of Alexandria, point 12.

القديسين. ولكن الكلمة إذ اتحد "حسب الطبيعة" (κατα φύσιν) ولم يتغيّر إلى جسد، فإنه حقق حلولاً مثلما يقال عن حلول نفس الإنسان في جسدها الخاص.

وفى (الفقرة ١٠) من نفس الرسالة يقول:

"وكما قلنا سابقاً، فإن كلمة الله قد اتحد بالجسد أُنومياً (καθ' ὑπόστασιν)، فهو إله الكل ورب الجميع، وليس هو عبد لنفسه ولا سيد لنفسه."

فكيف يقول المؤلف وكيف ينشر المترجم هذه العبارات في الكتاب المذكور:

١- "يجب أن يتكرر الاتحاد بين ما هو بشرى وما هو إلهى فى حياة كل مؤمن"!!؟

٢- "أنا وأنت كأولاد وبنات الله ننال قوة، لنصير إمتداداً للتجسد... لنكون فى هذا العالم مسيحاً على الأرض، إمتداداً لتجسده"!!؟

هل يُعقل أن كل إنسان مسيحي يكون هو نفسه السيد المسيح؟ وهل يعقل أن الاتحاد الأُنومى بين اللاهوت والناسوت يحدث فى كل إنسان مسيحي فيكون إمتداداً للتجسد الإلهى. هل نلغى أن السيد المسيح هو نفسه الله الكلمة المتجسد. أم يصير كل إنسان مسيحي هو الله الكلمة. إن الوثنيين لم يصلوا فى تأليه الإنسان إلى هذه الدرجة بل ألهوا الأباطرة فقط. وما الذى يمكن أن يصنّفنا به أصحاب الديانات الأخرى مع هذا الفكر. إن مجرد محاولة نسطوريوس إدعاء التأله للإنسان يسوع بقوله "من أجل كرامة الإله الحال فى الإنسان يعبد الإنسان مع الإله" قد رفضته الكنيسة لأن السيد المسيح هو إله متأنس وليس إنسان متأله حتى على مجرد مستوى الكرامة والسلطة كما إدعى نسطور.

إعداد

الأنبا بيشوى

البرارى فى ٢٢ مايو ٢٠١٦م

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانة بالبرارى

ورئيس قسم علم اللاهوت بمعهد الدراسات القبطية